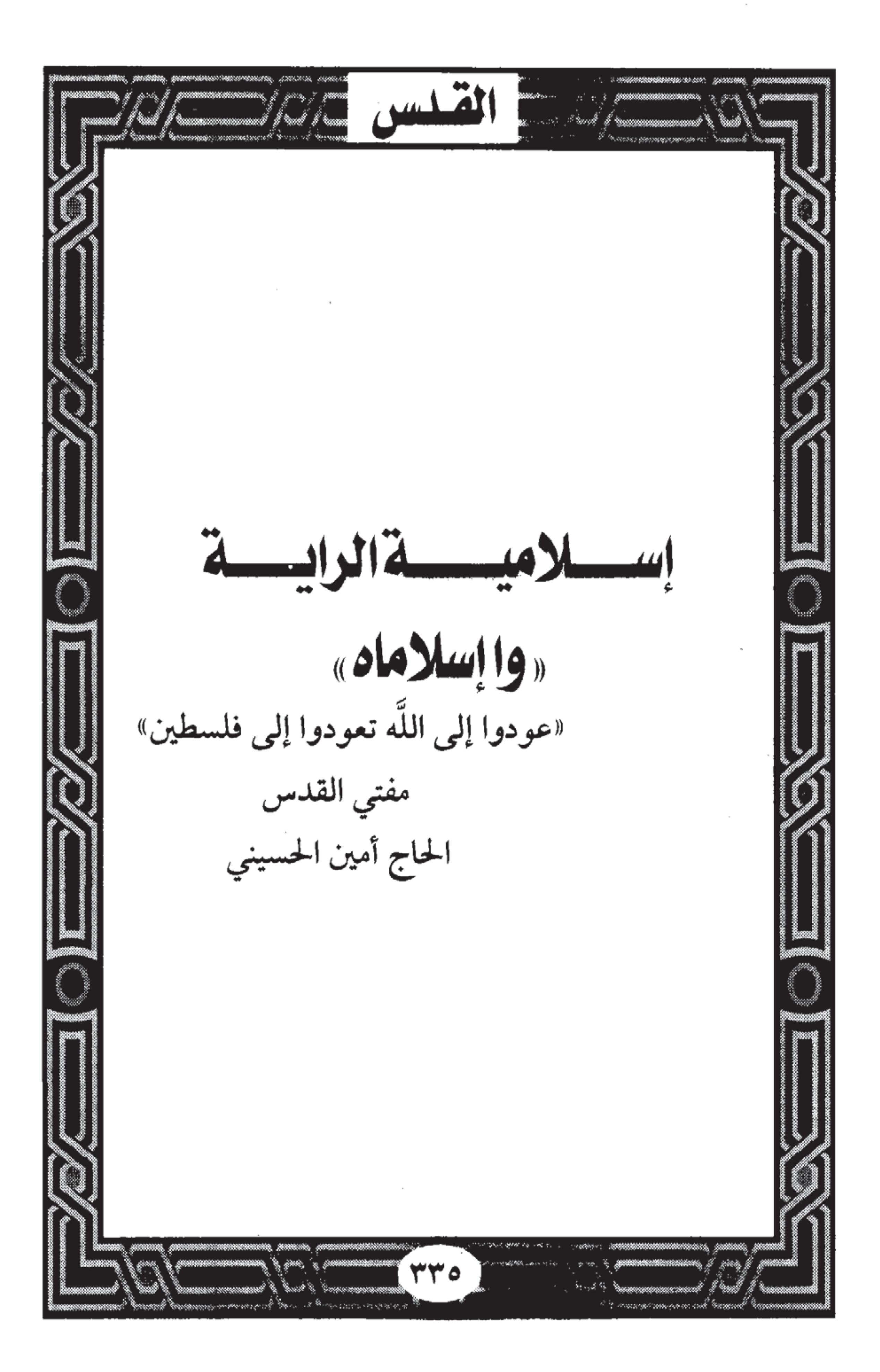


إسلامية الراية

«وا إسلاماه»

«عودوا إلى اللّٰه تعودوا إلى فلسطين»

مفتي القدس

الحاج أمين الحسيني

ضاعت فلسطين براية القومية العربية والثورة العربية عام ١٩١٧م:

ضاعت فلسطين يوم ضاعت الراية الإسلامية وحلّت بدلاً منها القومية العربية والعلمانية.

ضاعت فلسطين يوم سقطت الثورة العربية لدعاة القومية العربية في الوحل ودخلوا مع اللنبي فلسطين عام ١٩١٧م لطرد العثمانيين... دخلوا مع اللنبي الصليبي لطرد الأتراك المسلمين!!

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في رسالته المشهورة «اسمعوها مني صريحة أيها العرب»: «من المؤسف المحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة، وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الإيمان، وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم، وعن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والأشتات. إنها جريمة قومية تبزّ جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة، وإنها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدّامة المعروفة في التاريخ، وإنها خطوة حاسمة مشؤومة في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي»[١]. اهـ.

يقول الشيخ ابن باز - رحمه اللّه - : «إن الدعوة إلى القومية العربية - كما أنها إساءة إلى الإسلام ومحاربة له في بلاده - فهي أيضًا

---

(١) «اسمعوها مني صريحة أيها العرب» لأبي الحسن الندوي ص(١٨).

إساءة إلى العرب أنفسهم، وجناية عليهم عظيمة لكونها تفصلهم عن الإسلام الذي هو مجدهم الأكبر، وشرفهم الأعظم، ومصدر عزهم وسيادتهم على العالم»[١] .

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ : كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية، بل لمّا اختصم مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي ﷺ : «**أبِدَعْوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!**»[٢] .

● وفي حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه أمر يحيى بن زكريا بخمس أن يعمل بهن .. ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جُثى جهنم**»، قيل: يا رسول اللَّه وإن صلى وصام؟ قال: «**وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوى اللَّه الذي سمّاكم المسلمين المؤمنين عباد اللَّه**» .

□ قال الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ : «ذكر كثير من مؤرخي الدعوة إلى القومية العربية، ومنهم مؤلف الموسوعة العربية: أن أول من دعى إلى القومية العربية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي هم الغربيون على أيدي بعثات التبشير في سوريا، ليفصلوا الترك عن العرب، ويفرّقوا بين المسلمين، ولم تزل الدعوة إليها في الشام والعراق ولبنان تزداد وتنمو حتى عُقِد لها أول مؤتمر في باريس من نحو ستين سنة وذلك عام ١٩١٠، وكثرت بسبب ذلك الجمعيات العربية وتعددت

---

(١) «نقد القومية العربية» لابن باز ص(١٨).

(٢) المصدر السابق ص(٢١).

الاتجاهات... فهل تظن أيها القارئ أن خصومنا وأعداءنا يسعون في مصالحنا بابتداعهم الدعوة إلى القومية العربية، وعقد المؤتمرات لها وابتعاث المبشرين بها؟ لا والله... وكفى بذلك دليلاً لكل ذي لب على ما يُراد من وراء الدعوة إلي القومية العربية وأنها معول غربي استعماري يُراد به تفريقنا وإبعادنا عن ديننا»[1].

□ يقول الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتابه «مع الله» عن دعاة القومية العربية:

ما هؤلاء الناس؟ إنهم ليسوا عربًا ولا عجمًا ولا روس ولا أمريكان!! إنهم مسخ غريب الأطوار صفيق الصياح، بُلِيَتْ به هذه البلاد إثر ما صبغه الاستعمار بها وترك بذوره في مشاعرها وأفكارها، فهم ـ كما جاء في الحديث ـ من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، بيْد أنهم عدو لتاريخنا وحضارتنا وعبء على كفاحنا ونهضتنا، وعون للحاقدين على ديننا والضانين بحق الحياة له ولمن اعتنقه.

إن هؤلاء الناس الذين برزوا فجأة، وملأت ضجتهم الأودية كما تملأ الضفادع بنقيقها أكناف الليل، يجب أن يمزق النقاب عن سريرتهم وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم حتى لا يروج لهم خداع ولا ينطلي لهم زور، إن هؤلاء الذين يلبسون مسوح العروبة ويندسون خلال صفوف المجاهدين، ويزعمون أنهم مبشرون بالقومية العربية ورافعون لألويتها، وفي الوقت نفسه ينسحبون من تقاليد العروبة ويهاجمون أجلّ ما عرفت به، ويبعثرون العوائق في طريق الإيمان ورسالته. إن هؤلاء

---

(١) «نقد القومية العربية» ص(١٥ ـ ١٦).

الناس ينبغي أن يماط اللثام عن وجوههم الكالحة، وأن تُلقى الأضواء على وظيفتهم التي يسّرها الاستعمار لهم، ووقف بعيدًا يرقب نتائجها المرة، وما نتائجها إلا الدمار المنشود لرسالة القرآن وصاحبها العظيم محمد بن عبد اللَّه ﷺ.

ولقد قرأنا ما يكتبون، وسمعنا ما يقولون، ولم يعوزنا الذكاء لاستبانة غاياتهم، فهم ملحدون مجاهرون بالكفر، يقولون في صراحة: إن الإسلام ليس إلا نهضة عربية فاز بها هذا الجنس العظيم في القرون الوسطى، واستطاع في فورته العامة أن يجتاح العالم بقيادة رجل عبقري هو الزعيم الكبير محمد ﷺ، أي أن هذا الدين الجليل نبت من الأرض ولم ينزل من السماء، وأنه انطلاقة شعب طامح فاتح، وليس هداية مثالية فدائية جاءت من عند اللَّه لتنقذ العرب من جاهلية طامسة كانوا بها في مؤخرة البشر إلى حنيفية سمحة رفعت خسيستهم، ثم انتشر شعاعها بعد في أنحاء الأرض كما تنتشر الأضواء في عرض الأفق لدى الشروق. والفضل في ذلك كله للَّه وحده الذي اصطفى محمدًا وامتنّ عليه بالهدى والحق بعد أن قال له: ﴿**مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ**﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال: ﴿**وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ**﴾ [النساء: ١١٣]، كما يقول في العرب الذين أُرسل فيهم: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤]. فأي زحف عربي هنالك؟ وأي عبقرية أنشأت من عندها هذا الغيث الممرع لأهل الأرض؟ إن الزعم بأن الإسلام «فورة عربية» أكذوبة كبرى، وأضلولة شائنة، وإن هذا القول ليس تكذيبًا للإسلام

فقط، بل دعوة خطيرة إلى تكذيب الديانات كلها، وإلى إشاعة الكفر والفسوق والعصيان في أنحاء الأرض، والغريب أن هؤلاء الناس يخاصمون الإسلام بعنف، ويحاربون أمته بجبروت، ويهادنون الأديان الأخرى من سماوية وأرضية، كأن الإسلام وحده هو العدو الذي كُلِّفوا باستئصاله وحده، لا بل هو العقبة الفذة التي وُضعت المعاول في أيديهم لإهالتها ترابًا. . أجل، وهل للاستعمار عدو في هذه البلاد إلا الإسلام؟ إنه مصدر المقاومة العنيدة، وروح الكفاح الباسل الذي أعيا المهاجمين وأحبط مؤامراتهم، ومن ثمّ فعلى الاستعمار أن ينسج خيوطه حوله ليقتله ويحول بينه وبين الحياة الكريمة. ولقد ابتدع القوميات الضيّقة واستجباها بشتى الأساليب من كيان هذا الدين، فلما سقطت أمام الإسلام في المعركة دسّ أتباعه تحت لواء القومية العربية، وزوّدهم بضروب من الادّعاء ليزاحموا العرب المخلصين في هذا الميدان، ولينالوا من الإسلام بطريقة أخرى.

وتفسير القومية العربية هذا التفسير الكفور الكنود هو حرب أخرى ضد الإسلام، وإنه لجدير أن يتسمى هؤلاء بأتباع «القومية العبرية» لا العربية، أليسوا يعملون لمصلحة الاستعمار وإسرائيل؟ ولقد مرّت أربعة عشر قرنًا على اشتباك العروبة بالإسلام أو بتعبيرنا نحن أهل الإيمان على تشريف اللَّه للعرب بحمل هذه الأمانة وإبلاغها للناس، ونظرة إلى الماضي البعيد تعرّفنا بسهولة أن العرب مرت عليهم أدهار قبل الإسلام لم يكونوا فيها شيئًا مذكورًا، ثم جاء هذا الدين فدخلوا التاريخ به وطار صيتهم تحت رايته، وصدق اللَّه إذ يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، ثم أخطأ العرب فظنوا هذا الدين العالمي الذي نزلت آياته يمنحهم امتيازًا خاصًّا، ويجعلهم عنصرًا أرقى من سائر

الأجناس. . . ولكن المهم أن العرب الأولين لما أرادوا المفاخرة والتميّز كان الإسلام مُتّكأهم ومعقد فخارهم، فبأي شيء يملئون أفواههم إذا لم يذكروا الإسلام؟ إن وطابهم خال وتاريخهم صفر، حتى جاء الأفّاكون في هذا الزمان بالبدعة التي لم يسمع بها إنسان، فإذا العروبة في نظرهم يجب أن تتجرد من الإيمان، وزعموا ـ قبّحهم اللَّه ـ أنها بالانسلاح عن الدين تسمو وتسير، بل إن أحد الكتاب من هذه العصابة وجد الوجه الذي يُطالع به الناس ليقول: إن الإسلام جنى على العروبة، وإن الإسلام لأنه عالمي ـ ضار بالقومية العربية. وظاهر أن هذا الكلام بقطع النظر من بطلانه، إنما يروّج لحساب الاستعمار الغربي منه والشرقي على السواء، وأن قائله يخدم أهداف الغزاة الذين عسكرت جيوشهم في بعض أقطار العروبة وأنزلت بها الهون، ووقفت على حدود البعض الآخر تتربص به الدوائر.

❑ وكاتب آخر من هذه العصابة يطلب منا بإلحاح أن ننسى التاريخ لأنه لا يضم إلا رفات الموتى، وأن نتطلع إلى المستقبل فحسب. ونسي هذا الغرّ أن اليهود في كبد الشرق الأوسط أقاموا دولتهم بأمداد من التاريخ الموحي، وأنهم جعلوا اسم إسرائيل علمًا عليها. إنه حلال للناس جميعًا أن يستصحبوا تاريخهم في كفاحهم، أما نحن المسلمين فحرام علينا أن نذكر فصلاً من هذا التاريخ؛ وأن نستوحي منه عونًا في جهاد وأملاً في امتداد. إنها «قومية عبرية لا عربية» تلك التي يبشِّر بها الملحدون وكارهو الإسلام، ولقد عرف الأولون والآخرون أننا نحن المسلمين أحنى الناس على العروبة وأوصلهم لمجدها وأخلصهم لقضاياها، وأن هؤلاء القوميين لا خير فيهم، بل إنهم مصدر شر طويل

وأذى ثقيل»(١) .

القومية العربية ودعاتها والثورة العربية الكبرى ورجالها هم الذين سلّموا فلسطين لللنبي والإنجليز عام ١٩١٧م.

إن من أعظم الظلم وأسفه السَّفَه أن يقارن بين الإسلام وبين القومية العربية. وهل للقومية المجردة عن الإسلام من المزايا ما تستحق به أن تُجعل في صف الإسلام، أن يقارن بينها وبينه؟ لا شك أن هذا من أعظم الهضم للإسلام والتنكر لمبادئه السمحة وتعاليمه الرشيدة. وكيف يليق في عقل عاقل أن يقارن بين قومية، لو كان أبو جهل وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وأضرابهم من أعداء الإسلام أحياء لكانوا هم صناديدها وأعظم دعاتها، وبين دين كريم صالح لكل زمان ومكان، دعاته وأنصاره هم محمد ﷺ، وأبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم من الصحابة صناديد الإسلام وحماته الأبطال ومن سلك سبيلهم من الأخيار؟ لا يستسيغ المقارنة بين قومية هذا شأنها وهؤلاء رجالها(٢)، وبين دين هذا شأنه وهؤلاء أنصاره ودعاته، إلا مصاب في عقله أو مقلد أعمى، أو عدو لدود للإسلام ومن جاء به، وما مثل هؤلاء في هذه المقارنة إلاّ مثل من قارن بين البعر والدرّ، أو بين الرسل والشياطين ومن تأمّل هذا المقام من ذوي البصائر وسبر الحقائق والنتائج، ظهر له أن المقارنة بين القومية والإسلام أخطر على الإسلام من المقارنة بين ما ذُكر آنفًا. ثم كيف تصح

(١) «مع الله» للشيخ محمد الغزالي.

(٢) ومثلهم ساطع الحصري.. انظر كلام الاستاذ أنور الجندي عنه في كتابه «رجال اختلف فيهم الرأي».

المقارنة بين قومية غاية من مات عليها النار، وبين دين غاية من مات عليه الفوز بجوار الرب الكريم، في دار الكرامة والمقام الأمين»[١] .

برئتُ للَّه مِن صَفٍّ يوحّده ذلُّ التراب وشكل اللحم والجسدِ

□ وضاعت القدس لمّا ضاعت الراية الإسلامية لمعركتنا مع اليهود:

عروس جُلّلت بثياب حُزن يطوفُ بها على الشارين عبدُ

مراكبها تُسَيَّرُ في بحار ولا هدف على الشطآن عبدُ

□ **آه يا قدساه:**

يا درّة حُفِظت بالأمس غالية واليوم يرجونها للهو واللعب

هل يستوي مَن رسولُ اللَّه قائده دومًا وآخر هاديه أبو لهب

□ كانت النكبة القاصمة لفلسطين يوم نُحِّي الإسلام عن قيادة المعركة، نُحِّي عنها لتتولاها الجاهلية في صورة من صورها قومية أو علمانية يتعاجب بها الأوغاد كما يتعاجب الأطفال بالثوب المبرقش، ولم يتولّى عن راية الإسلام إلا جيل منكود موكوس منكوس، سقط في المستنقع الآسن وتمرّغ في وحله، وترك راية النجاة راية الإسلام تلوح للمكدودين في هجير الصحراء المحرق، والمرتقى النظيف الوضيء يلوح للغارقين في المستنقع.

□ إن راية الإسلام راية استعلاء لا نتدسّس بها.. ليس فيها ما يشين.. بل فيها العز كل العز.

لا لن تَذِلّ فهذه راياتها رغم العواصف والدجى لم تحجم

ظمأى يحركها نداؤك كلما عصف الطغاة بركبها المتقدم

يا أمـة هبط الزمـان بمجـدها ذلاً وكانت في المقـام الأعظـم
لا عــزّ إلا بالكتـــاب يـقـودنـا أكرم بـــه من قـائــدٍ ومُعَـلِّمِ

□ إن المسلمين في معركتهم المقبلة مع اليهود لن يستجيبوا إلا لنداء الإسلام، ولن يصلحوا إلا به، ولن يتفاعلوا إلا معه.. سيعلو نداء الإسلام ويرتفع ويقوى ويشتد، ألا بارك اللَّه في الحناجر المؤمنة التي تطلق نداء الإسلام، والأصوات المباركة التي ترتفع بنداء الإسلام، والآذان الواعية التي تسمع نداء الإسلام.

□ إن راية الإسلام أفق وضيء يطهر دنيانا ومعركتنا مع اليهود من غبش الجاهلية، والعلمانيون يفرون منها إلى موتهم: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠ ـ ٥١].

□ لن تعود القدس إلا براية من الكعبة، وسامها من غار حراء، نشيدها من بدر، تعاليمها من السماء.

راية للَّه، ليست لماركس ولا لينين ولا ستالين، ولا ماوتس تونج، ولا جورج واشنطن ولا ديجول.

لقد حصروا قضية القدس في مضيق القومية الضيق وما علم المنكودون أن أمتنا عالمية وقضية القدس من هذه الواجهة عالمية قضية كل مسلم، تحتل القدس من قلوبنا السويداء.. ويبكي لمصابها المتهجدون على ضفاف نهر اللوار؛ أو صحراء سنجار، أو جبال قندهار، وعلى شواطئ النيل والفرات ومضيق الدردنيل.

*** القوميون ثورة على الإِسلام.. وكلهم كاذب، قالوا وما فعلوا:**

كل من وقف تحت هذه الراية: من بعثيين، وعبد الناصر وأشياعه الذين دوّت أصواتهم بأن فلسطين هي القضية المركزية للأمة العربية. نقول لهم: إن سجل «بطولتهم» بائس مخزٍ وفشلهم الفكري بصدد هذا الشعار أنكى، ونقول لهم: كيف دخل اليهود القدس وأرض فلسطين.. ألم تكن القومية العربية هي التي قطعت أوصالنا كأمة إسلامية يوم دخل اللنبي القدس تحت حراب العرب وبنادقهم؟

□ «ولا يستطيع القوميون العرب تبرير الطبيعة الدينية للقومية اليهودية»، وكان الحل الوحيد الذي يملكه القوميون العرب في هذا المجال أن يلجئوا إلى اختراع الثنائية الشهيرة في التفرقة بين «اليهودية» و«الصهيونية» فيزعمون أن اليهودية ديانة مبرأة من هذه الشرور، وهي بهذه المثابة موضع احترام القوميين العرب العلمانيين كأي عقيدة أخرى، أما الصهيونية فهي ـ على العكس ـ حركة استعمارية داخل اليهودية، ويجب محـاربة هذه الصهيونيـة في فلسـطين بوصفها عدوة الأمة العربية...».

وكل هذا دجل وخيانة تلوح لكل أبله وساذج فضلاً عن العقلاء الشرفاء الذين يحترمون عقول الناس.

□ يقول القرضاوي: إذا كانت أرض الإسلام هي أولى القبلتين، وثالث المسجدين المقدسين، كان الجهاد في سبيل تحريرها أوجب وأعظم وأشرف، وأعلى مكانًا في دين اللَّه.

وإذا كان مغتصبوها يحاربوننا بدوافع دينية، وأحلام دينية، كان أوجب علينا أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به، فإذا حاربونا بالتوراة حاربناهم بالقرآن، وإذا رجعوا إلى تعاليم التلمود رجعنا إلى البخاري ومسلم، وإذا قالوا نعظِّم السبت، قلنا: نعظِّم الجمعة، وإذا قالوا: الهيكل، قلنا: الأقصى. وبالجملة إذا قاتلونا تحت راية اليهودية قاتلناهم تحت راية الإسلام، وإذا جندوا جنودهم باسم موسى: جندنا جنودنا باسم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فنحن أولى بموسى منهم»(١).

* لماذا نتدسس بالإسلام وننحّيه عن قيادة المعركة واليهود عقيدتهم تعلو على كل شيء عندهم والمعركة يديرها التلمود:

لماذا ينحّون الإسلام عن المعركة، وكل ما عند اليهود تعلوه توراتهم ـ المحرّفة ـ والتلمود؟ «فاسم الدولة» إسرائيل على اسم نبي اللّه إسرائيل عليه الصلاة والسلام، وعلم الدولة اليهودية له معنى، فهو يعبّر عن عقيدة اليهود، فهو عبارة عن أرضيته بيضاء يتخللها خطان أزرقان في وسطهما نجمة داود. ما اللونان الأزرقان؟ النيل والفرات، فمن النيل للفرات هذه هي المنطقة التي ترمز إليها نجمة داود. وشعار الدولة «الشمعدان».

◘ «ومما يُؤسف له أنه حينما أراد العدو الصهيوني إقامة سفارة له في القاهرة أصرّ اليهود على أن يكون موقع السفارة على الجهة الغربية من النيل لماذا؟ لأن حدودهم تنتهي عند الضفة الشرقية، ولذلك رفض اليهود إقامة السفارة على الضفة الشرقية، وأصروا على أن تكون على الضفة الغربية احترامًا لعقيدتهم في أن حدود إسرائيل الكبرى تنتهي عند

(١) «القدس قضية كل مسلم» ص(٤٦).

الجهة الشرقية من النيل.

❑ كذلك تقدم اليهود بطلب استعمار أراضي المدينة المنوّرة وما جاورها قدّموه إلى الملك عبد العزيز أيام فقر السعودية وعدمها مقابل عشرين مليون ليرة ذهبًا، ولكن رفض الملك عبد العزيز بشدة ثم قدّموا له وسائل أخرى ففشلت.

❑ حين دخلت بعض كتائب الجيش اليهودي في أرض سيناء عام ٤٨ وقفت السيارات على الحدود وهبط منها الضباط والجنود وقبّلوا ترابها قبل أن يجتازوها لأنهم يعتبرون سيناء ملكًا لهم.

❑ وحينما وصل أوائل المهاجرين اليهود إلى فلسطين قال إسحاق شامير: «إن هجرة كبيرة كهذه تتطلّب أرض إسرائيل الكبرى»[(١)].

❑ أول سيارة جيب دخلت الأرض المصرية نزل منها حاخام يهودي ومعه نسخة كبيرة من التوراة!!

❑ تقول بنت دايان في كتابها «جندي من إسرائيل»: «إن فرائصنا كانت ترتعد بسبب أنباء تجمع جيش العدو على الجبهة الجنوبية مصر، فجاء إلينا الحاخام فصلى وقرأ نصوصًا من التوراة فانقلب الخوف أمنًا، أما الجيش المصري فكانت الإذاعة توجّهه: قاتل وأم كلثوم معك في المعركة، قاتل وعبد الحليم معك في المعركة، قاتل لأجل الربيع قاتل لأجل الحياة».

❑ أما جريدة الجيش السوري فقد كتبت قبل شهر من معركة حزيران ٦٧ بقلم «إبراهيم خلاص» يقول: «إن اللّه والرأسمالية والإمبريالية وكل

(١) غزة أريحا ـ شريط للدكتور محمد إسماعيل المقدم.

القيم التي سادت في المجتمع السابق أصبحت دُمًى محنّطة في متاحف التاريخ».

◻ «اليهودية لهم جنسية ووطن» أما نحن فعداؤنا للقومية الإسلامية:

هناك كتاب اسمه «تحطمت الطائرات عند الفجر» لباروخ نادل «يهودي كان مستشاراً لقيادة الأركان الجوية المصرية لمدة أربعة عشر عامًا، ورتّب حفلة ساهرة ليلة الخامس من يونيو ٦٧ حضرها أربعمائة طيار، وبعد الثانية ليلاً قسّم الضباط إلى قسمين:

ذكور وسمّاهم الميج المصري. . . ، وإلى أن يقول في آخر الكلام أنهم بقوا في المستنقع الآسن الآثم لم ينصرفوا إلا بعد الرابعة فجرًا، يقول باروخ نادل: «وما غادرت سماء القاهرة إلا وقد رأيت الدخان يغطي سماءها من المطارات المحترقة التي أغارت عليها الطائرات الإسرائيلية الساعة الخامسة صباحًا.

◻ للَّه در يوسف العظم حين يقول:

كان لحنُ الحيـــاة فينا أذانًا ... يَتَغنَّى به الأبـــاةُ الصيـــدُ
يملئــون الوجــود بــرًّا ونورًا ... حين يصحو على الأذانِ الوجودُ
وإذا اللحن صيحةٌ من رقيعٍ ... وإذا الترس في المعامِع «عــوُد»
هجروا المصحف الطهور وحاروا ... وابن «دَايَان» قاده «التَّلمودُ»

◻ ولا فض فوه حين يقول:

كم أشرقت في سماء المجد رايات ... ورتلت في رحــاب الخير آياتُ
وكان رائدنا يحدو مسيرتنا ... اللَّه غايتنا الرحمن لا اللات

ودولة الحق بالإسلام تحكمنا واليوم تحكمنا ظلمًا دويلات
تقود أُمَّتَنا للحربِ غانيةٌ والجيْش في الزحف قد ألهتهُ مغناةُ
الزِّقُّ والرِّقُّ والمزمارُ عدتُنا والخَصْمُ عدته علم وآلاتُ
وشِرْعةُ اللّه في القرآن نهجرها وشرعةُ الخصم تلمُودٌ وتوراةٌ

* **بين رجلين وكلمتين:**

لما ذهب رابين للتوقيع على اتفاق السلام المزعوم أكّد عشية سفره إلى واشنطن أن القدس ستظل عاصمة لإسرائيل وللشعب اليهودي إلى الأبد... وأكد ذلك في حفل التوقيع حين قال أمام العالم: نحن قادمون من القدس العاصمة التاريخية والأبدية للشعب اليهودي!!

□ يقول الدكتور القرضاوي:

«والحق أني كنت أتابع حفل التوقيع الذي يرونه عُرْسًا، ولا أرى فيه إلاّ مأتمًا! كنت أقارن بين الموقفين وبين الكلمتين: موقف عرفات ورابين، وكلمتيهما، فأجد ـ وا أسفاه ـ فرقًا شاسعًا.

كان موقف رابين موقف المتفضِّل المتنازل، وموقف عرفات موقف الممتنّ الشاكر! حتى أنه ختم كلمته بتكرار كلمة: شكرًا بالإنجليزية «ثلاث مرّات»!.

لم ينس رابين أن يتحدث عن تاريخهم القديم والحديث، وكفاحهم الطويل، وشهدائهم وضحاياهم، تمهيدًا لحديثه عن السلام، واستشهد بالتوراة، وذكر فقرات من «سفر الجامعة»، ودعا إلى الصلاة من أجل السلام، ولم يكن همّ عرفات إلا المديح والشكر والعرفان، فلم يلتفت إلى شيء من قبيل ما ذكره رابين، ولم يستشهد بآية من القرآن، ولم

يجر على لسانه كلمة واحدة عن الإسلام! ولم يذكر المسجد الأقصى بعبارة واحدة!!»[(١)].

يقول الكاتب محمد حسنين هيكل في كتابه «سلام الأوهام»: «إن الضحيّة شرحت مأساتها بأسلوب الموظفين الحكوميين، وأما الجلاد فقد تحدّث عن نفسه بأسلوب الشهداء! وقال آخر: إن هناك خطأ حدث، فخطاب رابين كان في الأصل مكتوبًا لعرفات، وخطاب عرفات كان لا بد أن يكون خطاب رابين! ثم قال ثالث: إن رابين تحدّث عن المآسي الإنسانية التي عاشها الشعب الإسرائيلي. في حين أن عرفات بدا وكأنه يعتذر نيابة عن الشعب الفلسطيني وعن نفسه!»[(٢)].

ولله در الشاعر حين يقول:

قد هجرنا منابع الخير فينا ... وارتوينْا من كل نبعٍ مكدّرْ
وطمسنا مشاعل النور جهلاً ... وتبعنا الضلال ينهى ويأمرْ

يقول الشاعر عن الأمة التي أضاعت رايتها الإسلامية فضاعت:

وبعثرت رايات أمجادها ... ونكّسَتْ في العار أعلامَها
واستسلمت للكفرِ مذعورَةً ... وضيّعتْ في التيه إِسلامها
وألّهت جلادها وانثنت ... تسجد للسوط الذي سامها
فكيف ترجو النصرَ في غَفْلةٍ ... يا أمةً تصنعُ أصنامها؟

❁ ❁ ❁

(١) «القدس» للقرضاوي ص(١٥٠ ـ ١٥١).
(٢) «سلام الأوهام» لمحمد حسنين هيكل ص(٣٣٠).

*** لو عَلَت راية الإِسلام لما كانت هذه الأرجحة من الراقصين على الحبال، فالإِسلام لا يعرف التلوّن:**

الكلمة الطيبة أصلها ثابت لا تعرف الأرجحة ولا الرقص على الحبال، القوم لما نحّوا الإسلام وهو الحق صاروا في أمر مريج فكل الثوابت عندهم والمقدسات قلبوها لأنهم ابتعدوا عن أمر ربهم وراية دينهم «نحن اليوم نشهد فصلاً جديدًا لم يكن ليخطر لنا على بال، قلب كل الموازين، ونقض كل القواعد، وغيّر كل الثوابت التي أصبحنا وأمسينا عليها نصف قرن من الزمان، ونشّأنا على ذلك أطفالنا، وربّينا عليه شبابنا، فشب عليه الصغير، وهرم عليه الكبير، أن إسرائيل خطر عسكري وسياسي وديني واقتصادي وثقافي، وصنفت في ذلك مؤلفات، وأُنشئت لذلك مراكز ومؤسسات، وعُقد له ندوات ومؤتمرات.

وكم بدأنا وأعدنا في حقنا في الأرض وكل الأرض، وأن العدوان لا يكسب المعتدي شرعية، وما قام على الباطل فهو باطل. . .إلخ، ثم تخاذل المتخاذلون فإذا هم يرضون بالواقع بعد عدوان ١٩٦٧/٦/٥ وإذا هم يبنون سياستهم على مجرد إزاله آثار العدوان، والرضا بالعودة إلى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧م أي أن العدوان الجديد كأنما أضفى الشرعية على العدوان القديم! عدوان ١٩٦٧م أنسى عدوان ١٩٤٨م.

ثم زاد الطين بلة ـ كما يقولون ـ فرضي من رضي بمجرد حكم ذاتي تحت سلطان إسرائيل!!

. . . ثم انتهى المطاف إلى مد يد المصافحة إلى أبطال دير ياسين وصبرا وشاتيلا وغيرها.

كل هذا في مقابل ٢٪ من مجموع أرض فلسطين، على نحو ما

قال العربي قديمًا: إذا لم تكن إبل فمعزى!!

إن الشعوب قد تأتي عليها ساعات توقع فيها على هدنة أو صلح وهي كارهة مرغمة، بعد اندحارها في حرب لا تملك إلا التسليم. كما فعلت اليابان بعد ضربها بالقنابل الذرية، وكما فعلت ألمانيا بعد هزيمة هتلر.

□ ولكن أن يستسلم الفارس، وهو شاهر سيفه، حامل رمحه، ممتط جواده، وأن يعتبر استسلامه لعدوه مجدًا وفتحًا يحسب له، ويغيظ عليه، ويعد تنازله عن جزء من وطنه مكسبًا، ويطالب الحناجر أن تهتف باسمه، والأيدي أن تصفق له فهذا ما لم نعهده في تاريخ الأبطال والفرسان إلا حين يستحيل الفارس إلى دمية، والفرس إلى حمار، والسيف إلى عُكّاز!

* إشفاقًا على أبنائنا:

إنني أشفق على أبنائنا وشبابنا الذين حفظناهم أناشيد الجهاد، وأغاني العودة وعلّقنا قلوبهم وعيونهم بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة، ومسرى الرسول ﷺ، وأولى القبلتين، وصببنا في عقولهم وضمائرهم ووجدانهم كراهية بني صهيون وظلم إسرائيل التي قامت على اغتصاب الأرض، وانتهاك العرض، وتشريد الأهل، فإذا بنا - ما بين عشية وضحاها - نشطب هذا كله، وننسخه بجرة قلم، ليصبح العدو صديقًا، والاغتصاب مشروعًا، والعدوان مقبولاً، مع أن الوطن لم يتحرر، والمشرّد لم يعد إلى أرضه، والأقصى لم يزل أسيرًا، فكأننا نقول لهذا الجيل المسكين: لا تصدِّقونا فيما كنا نقول لكم، إن الذي كنا نسميه بالأمس جهادًا وبطولة ونضالاً أصبح اليوم عنفًا وإرهابًا، والذي كنا

نسميه سفّاحًا غدا اليوم شريفًا. لا يوجد شيء ثابت عندنا، كلّ ما كان حقًّا يمكن أن يكون باطلاً، افتحوا النوافذ لتهب عليكم نسمات إسرائيل، وافتحوا الأبواب لتدخل عليكم بضائع إسرائيل، وبنات إسرائيل أيضًا، و«إيدز» إسرائيل[1] !!

أُمّتي هَلْ لكِ بين الأُمَمِ ... مِنْبَرٌ للسيفِ أو للقلمِ
أَتَلَقّاكِ وطَرْفِي مُطْرَقٌ ... خجلاً مِن أَمْسِكِ المُنْصَرِمِ
ويكادُ الدَّمْعُ يَهْمِي عابثًا ... ببقايا كبرياءِ الألمِ
أمتي كم غُصّةٍ داميةٍ ... خَنَقَتْ نجوى عُلاكِ في فمي
أيُّ جرحٍ في إبائي راعفٍ ... فاتَه الأسى فلم يلتَئِم
ألإسرائيلَ تعلو رايةٌ ... في حِمَى المَهْدِ وظِلِّ الحرمِ؟
كيف أَغْضَيْتِ على الذُّلِّ ولمْ ... تنفُضي عنك غُبار التُّهَمِ؟
أو ما كنت إذا البغي اعتدى ... موجة من لهبٍ أو من دمِ؟
فيم أقدمتِ وأحجمت ولمْ ... يشتفِ الثأرُ ولم تنتقمي؟
اسمعي نوح الحَزَانَى واطَربي ... وانظري دمْعَ اليتامى وابسُمِي
ودعي القادة في أهوائها ... تتفانى في خسيس المغنمِ
رب «وا معتصماه» انطلقتْ ... ملءَ أفواهِ الصبايا اليُتَّمِ
لامست أسماعَهُم لكنها ... لم تُلامِسْ نَخْوَةَ المعتصِمِ
أمّتي كم صنمٍ مَجّدتِه ... لم يكن يَحْمِل طُهْر الصنمِ
لا يُلامُ الذئبُ في عُدْوانِه ... إن يكُ الراعي عَدُوَّ الغنمِ

(١) «القدس» للقرضاوي ص(١٤٧ ـ ١٥٠).

فاحبسي الشكوى فلولاكِ لما كانَ في الحُكْمِ عبيدُ الدِّرْهَمِ

لو سمع عمر صرخة طفل مجهود، أبوه مفقود، وأخوه في القيود، لجنّد الجنود، ولداس اليهود، لو طرقت سمع المعتصم «وا معتصماه» لضاقت أرضه وسماه، ولقاد الكماة ولأخرج فلسطين من زنزانة الطغاة البغاة خمسون عامًا، ونحن نرى أيتامًا، ونشاهد أيامى، ونبصر آلامًا، ثم نتعامى، ولا يحرِّك فينا هذا كله أيثامًا.

من أراد أن يطلق القدس من الأسر أو يفكّه، فليأخذ دستوره من مكّة. القدس إسلامية ما ترطن، ولا تنتظر النصر من واشنطن. القدس تقلق، إذا جئنا بجيش فيه ميشيل عفلق. يحرر الأرض، ويحمي العِرْضَ من أذّى الفرض، وخاف يوم العَرْض.

ما يحرّر فلسطين إلا طلاّب العز بن عبد السلام، وتلاميذ عزالدين القسّام.

ما يحرّر فلسطين طلاب سخاروف، ولا يردّها لأهلها أهل الدفوف، إنما تعود على أيدي من يصلي ويطوف ويجاهد في الصفوف.

يا معشر العرب: من أصابته مصيبة، فلم يأخذ الحلّ من طَيبة، عاد بالخيبة.

سيصغى لها من عالمِ الغيب ناصرٌ وللّــه أوس آخـــرون وخــزرجُ

فلسطين إسلامية النسب، وليست عربية فحسب، ولذلك كان صلاح الدين فاتح القدس من الأكراد، والسلطان عبد الحميد ناصر فلسطين من الأتراك الأجواد، وبعض العرب أيام الصليبيين باعوها في سوق المزاد:

بعها فأنت لما سواها أبيعُ   لك إثمها ولها المكان الأرفعُ

❑ لا تعود فلسطين عن طريق الملحدين، ولا عن طريق الوحدويين، وإنما تعود تحت رايات الموحدين.

❑ فلسطين غاب سلاطينها، فأفلس طينها، وهي تنتظر كتائب الموحدين مع الصباح، تنادي حيّ على الفلاح، ليعود الحق إلى أصحابه، والسيف إلى نصابه، ولتعود الوديعة إلى واليها، والطفلة إلى أبيها، والدار إلى راعيها:

لا تهيئ كفني ما مِتُّ بعدُ   لم يزل في أضلاعي برق ورعدٌ
أنا تاريخي ألا تعرِفُهُ   خالد ينبِضُ في قلبي وسعدُ[1]

❑ يقول الدكتور النحوي:

«لما تحرّك أصحاب رسول اللَّه ﷺ إلى بيت المقدس كانوا جميعهم يحملون تصورًا قرآنيًّا عن فلسطين وبيت المقدس والمسجد الأقصى. لم يتحركوا إليه في غزوة عربية كما أراد ماركس وإنجلز أن يفسّراها، ولم يتحركوا رغبة في عيش رغيد، ولا طمعًا في عدوان، ولا اغتصابًا لثروات! لا شيء من ذلك أبدًا. لقد كان هنالك باعث رئيسي لمسيرتهم كلها في الأرض، عبّر عنها المغيرة بن شعبة في ردّه على رستم قائد الفرس: «أن ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث اللَّه إلينا رسولاً قال له: إني سلّطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني. وإني منتقم بهم منهم. وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ، ولا يعتصمْ به إلا عزّ».

---

(١) «مقامات عائض القرني» ـ «المقامة الفلسطينية» ص(٥١٩ ـ ٥٢٦).

فقال له رستم: وما هو؟ فقال: «أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، والإقرار بما جاء به من عند اللَّه». فقال: «ما أحسن هذا!! وأي شيء أيضًا؟» قال: «وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة اللَّه!»...

هكذا كانت مسيرة الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ إلى بلاد فارس، وإلى بلاد الشام، وإلى مصر، وكذلك إلى أبواب بيت المقدس، إلى المسجد الأقصى، إلى فلسطين. ولو فقدت أي مسيرة هذه القاعدة العظيمة لفقدت كل مسوّغاتها، وكل أسباب قوّتها، وعزة النصر المتنزلة من عند اللَّه.

□ وفلسطين لها خصائص أُخرى إيمانية أيضًا. إن المسيرة إلى فلسطين على أساس القاعدة السابقة في مسيرة الأنبياء كلهم، هي مسيرة واحدة تحمل معها رسالة الإسلام، ومنذ إبراهيم ـ عليه السلام ـ مضت مسيرة النبوة تخصّ أرض فلسطين المسلمة كلها بنورها وبركتها...

أصبحت فلسطين أمانة في عنق أُمة الإسلام، إلى يوم القيامة. إنها ليست مجرد «وقف» نفهمه من حلول أحكام فقهية اجتهادية. إنها ملك وحق وأمانة، ونصوص من آيات وأحاديث. إنها مُلك دين ورسالة، وملك أمة ممتدة. وهي ليست قضية شعب محدود، ولا قضية تاريخ مجزوء، إنها ممتدة امتداد الإسلام، وامتداد الإيمان. إنها عاطفة إيمانية صادقة، وفكر إيماني صادق يمتزجان معًا عاطفة وفكرًا ليولّدا يقينًا وإيمانًا، ورسالة وتوحيدًا.

يا ربوة الأقصى إجلالك آية الـ إســلام تجـلو حقّـه المشـهـودا

فبكل رابيـــة طيـــوف صحـــابةٍ وبكل منعطفٍ ضممتِ نجيدًا
وبكل ميـــدانٍ تـــدور ملاحمٌ حملت لكِ الإسلامَ والتوحيدا[1]

*** وضاعت فلسطين.. وضاعت القدس لما أصبحت رايتها علمانية:**

ظهر تيار يدعو إلى أن القضية والعمل لها وفلسطين هي حق لكل فلسطيني، مهما كان كان فكره وحزبه، وجنسيته وعرقه، وكان هذا التيار يرى إمكانية التفاهم مع اليهود على صورة قريبة مما كانت تدعو له «عصبة التحرر الوطني» في فلسطين سابقًا، وعلى نحوها عبّر عنه بعض رجال هذا الاتجاه حسب ما ورد في كتاب صلاح خلف «فلسطيني بلا هوية».

ولقد صادف هذا الاتجاه فيْئًا وندًى في ظلال الدعوة إلى الاشتراكية والقومية التي كان يدعو لها جمال عبد الناصر في مصر والعالم العربي.

وكان هذا الاتجاه يرفع كل شعار يقتضيه الموقف، يدعي أنه لا يحارب الإسلام، بل ويمكن أن يهمس به إذا احتاج الإسلام والمسلمين، يفتح بابه لكل راغب. ولا عجب إذا أنت وجدت فيه أفرادًا كانت لهم جذور إسلامية..! ولكنهم قطعوا هذه الجذور مع انطلاقتهم الجديدة.

❑ قال الدكتور النحوي:

«لا بد هنا أن نقف وقفة واضحة مع هذا الاتجاه. فلو رجعنا إلى صحيفة عصبة التحرر الوطني الناطقة بلسان الحزب الشيوعي في فلسطين

---

(١) «على أبواب القدس» ص(٢٥١ - ٢٥٣).

والتي أخذت تصدر مع سنة ١٩٤٣م، لوجدنا هذا الشعار نفسه هناك. وهذا الاتجاه قد لا يصرح بأن اليهود فلسطينيون فلهم الحق في فلسطين كذلك، حتى لو كانوا قادمين من روسيا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ولا علاقة لهم بأنبياء اللَّه كلهم، ولا بيعقوب خاصة. ولكنه يشير إلى ذلك على قدر ما يسمح به الموقف كلما واتته الظروف. ثم نجد هذا الاتجاه خارج التنظيم الشيوعي الرسمي. قد نجده في داخل اتجاهات يسارية مختلفة، وربما وجدته عند أناس لهم جذور إسلامية. فكرة لها دعاتها ثم أخذت تنتشر هنا وهناك. يقول أحدهم: «ولأول مرة في حياتي استشعر الإحباط والحقد على الإنجليز.. والصهيونية التي حفرت هوة بين الفلسطينيين واليهود...»[1]، ويتكرر هذا المعنى كثيراً لنصُبَّ غضبنا على كل الناس إلا على اليهود!

ونجده كذلك عند من يقولون عن أنفسهم «وهكذا فإنهم استشفوا منذ البداية إمكانية إقامة دولة ديمقراطية في كامل فلسطين يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون كمواطنين متساوين. غير أن عوامل ذات طابع سياسي كانت تمنعنا من أن نجاهر قبل عام ١٩٦٨ بالعرض الذي ينبغي لنا أن نقدمه للإسرائيليين»[2]. إذن أين الميثاق الوطني الذي استمر بريقه ربع قرن سقط من أجله مئات الألوف؟ كنا نعتب على الإنجليز الذين لم يجاهروا بحقيقة نياتهم للعرب وللمسلمين. وها نحن منا من يطوي قناعته ويعلن شعارات للناس حتى يُجْمَعُوا، فيذبَحُوا، ويفاجأ الباقون بالحسرة.

---

(١) «فلسطيني بلا هوية» ص(٢٨)

(٢) المصدر السابق ص(٦٤).

ونجد الاتجاه هذا كذلك عند من يقول: «... إذ ليس بوسعنا أن نكون مسلمين متعصبين وتقدميين في آن واحد»، ثم يقول: «...ولأن الحركة الفلسطينية حركة علمانية بصورة قاطعة»[١].

هنا لابد من أن نتساءل كيف جاز لبعض المسلمين أن يعلنوا بوضوح عن دعمهم لهذا الاتجاه. وكيف جاز لمسلم يدعو إلى اللَّه ورسوله، يدعو إلى التوحيد كيف جاز له أن يدعو في محاضرة عامة في جامعة الكويت لهذا النهج، بعد أن جرده من كل الشوائب العلمانية والإلحاد واليسارية وطواها، ثم أبقى فيه ما يلقى من مقاومة الدولة هذه والدولة تلك، ليستدر عطف المستمعين؟! كيف جاز للداعية المسلم أن يفرق بين أناسٍ وأناس تضامنوا على نهج علماني واحد، وساروا على الدرب نفسه سنين طويلة.

وكذلك نجده عند من يقول: «... بأن هدفنا الاستراتيجي هو دعم إنشاء دولة ديمقراطية على امتداد فلسطين التاريخية (والسؤال هنا: ما هي التاريخية؟): يعيش فيها اليهود والعرب في وفاق وكمواطنين على قدر كامل من التساوي، وأوضحت أنه ليس لدي أي اعتراض بل بالعكس على التعايش مع اليهود، الشعب الذي عانى من اضطهادات بشعة...»[٢].

◻ وأخيراً ومع الصفحة الأخيرة نجد من يقول: «...لسنا متعارضين للحدود المفتوحة من حيث المبدأ فنحن ما زلنا أوفياء لمثلنا أو لحلمنا الذي ينص على توحيد فلسطين في دولة علمانية ديمقراطية تضم

---

(١) المصدر السابق ص(٢٦٠).

(٢) «فلسطيني بلا هوية» ص(٢٢١).

اليهود والمسيحيين والمسلمين الذين يضربون بجذورهم في هذه الأرض المشتركة. والحال هو أن الحدود المفتوحة تقود حتمًا إلى الحوار، ثم إلى التفاهم بهدف قيام مثل هذا التوحيد، بحيث يحل بدلاً من المواجهة القومية الصراع الطبقي الذي سيواجه بين الجماهير العربية واليهودية من جهة، وبين المستغلين والإمبرياليين من جهة أخرى. أي بين هذه الجماهير وبين أولئك الذين ولّدوا الحقد بين شعبينا قبل أن يقودوهما إلى الحرب»[١].

□لن نجد تعابير أدق من هذه التعابير لتدل على ذلك الاتجاه الذي أخذ يبرز مع عام ١٩٥٦م. نعم هو اتجاه قديم كانت تصر عليه القوى الشيوعية. ثم صدرت التوجيهات منذ الأربعينات إلى الحزب الشيوعي العربي في فلسطين بأن يتبنى الشعارات الوطنية حتى يتألف قلوب الناس، ثم يفجعها بنظرياته عن التعاون مع اليهود، اليهود القادمين من كل أنحاء الأرض، اليهود الذين لا علاقة لهم بفلسطين، لا تاريخًا ولا عاطفة ولا دينًا. هؤلاء الذين يقول عنهم «القائل» إنهم ذاقوا اضطهادات بشعة في أوروبا من الأوروبيين، فمن العدل إذن أن نخرج نحن من بلادنا ونقدمها لهم! ثم يقول عنهم إنهم يضربون بجذورهم في أرض فلسطين! هل يصدق أحدٌ أن عاقلاً يمكن أن يقول هذا؟!.

ويقول أحد أبناء هذا الاتجاه: «لقد حسبوا أنهم يشتمونني حين ذكروا أن أمي يهودية. لكن سوء الحظ يشاء أنها ليست كذلك...»[٢]. هؤلاء إن أخذنا عليهم كتمان أهدافهم مرحلة من الزمن، فإنهم ما زالوا

---

(١) المصدر السابق ص(٣٣٢).

(٢) المصدر السابق ص(٣٠٠).

يملكون حق الدفاع عن أنفسهم حين يقولون إنهم قد أعلنوا ذلك، ثم أعادوه، ثم أعادوه، فما ذنبهم إذا كنا لا نقرأ، أو نقرأ ولا نفهم، أو نُخْدع بمعسول الكلام والعناق والقبلة، والأعذار الواهية؟!.

وما ذنبهم إذا كان الميزان في أيدي بعض المسلمين مضطربًا، أو إذا تركوا ميزان الإسلام والإيمان!.

❑ إن هذا الاتجاه الذي برز بيننا مع عام ١٩٥٦م هو امتداد لما كانت تعلنه صحيفة عصبة التحرر الوطني قبل ذلك بربع قرن تقريبًا، أي: بحدود عام ١٩٤٣م. ولكنه في الوقت نفسه يمثل اتجاه الدول الغربية، لا من حيث قناعتها به، ولكن من حيث صلاحيته في أن يكون مرحلة في مخطط عام، يمكن أن يدفعوا الناس إليه، أو أن يدفعوه إلى الناس، ثم يتجاوزوه. فالاتجاه يمثل إذن مصبَّ رغبات متناقضة، ومصالح مختلفة، قد تجد فيه لحظة توافق بينها.

❑ إن الخطأ الكبير في هذا الاتجاه هو تجاهل الطرح الصحيح للحركة اليهودية. فلا فرق من حيث الأساس، وبالنسبة لنا بين اليهودي والصهيوني، ما دام جميعهم قد صبّوا جهودهم متضامنين لبناء دولتهم وارتكاب جريمتهم، حتى الحزب الشيوعي تضامن في ذلك، ولعب دورًا هامًّا في تغذية الهجرة اليهودية، وفي بناء دولة اليهود.

أما الوهم في أن اليهود غير الصهيونية والصهيونية غير اليهود اعتمادًا على اتجاه أفراد قلائل، واعتمادًا على ادعاءات مضللة من الحزب الشيوعي اليهودي الذي خدم الصهيونية، وأقر حقَّ إسرائيل، كما أَقرته الرأسمالية سواء بسواء، بل على صورة أشد وأدهى، هو وهم مضلل.

ومن ناحية أخرى يريد هذا الاتجاه أن نسدَّ آذاننا عن الدويّ الهائل الذي يردِّده اليهود كلهم عبر التاريخ كله بالعودة إلى وهمهم ومزاعمهم من النيل إلى الفرات. ويريد هذا الاتجاه أن نغلق أعيننا عن الشعار الممتد في الكنيست، ويريد أن نصمَّ آذاننا ونغلق عيوننا عن إصرار دولة اليهود على التوسع والامتداد، ونكث كل المواثيق، وارتكاب أبشع الجرائم، مع صديقهم وعدوهم، من أجل تحقيق التوسع. فاليهود إذن هم الذين يمضون في سياسة التقدم المرحليّ، ونحن نسير في سياسة التنازل المرحلي. يريد هذا الاتجاه أن ننسى هذا كله، وننسى القرآن والسنّة، وننسى تاريخ اليهود ثم نضع يدنا بيدهم، فنُحضِر الروسي والألماني والفرنسي والإفريقي ولقطاء الأرض كلها، وقد سمَّوا أنفسهم يهودًا، وأنبياء اليهود كلهم منهم بُرآء عرقًا ودينًا وفكرًا، يريدوننا أن نُحضر هؤلاء، ونتنازل عن أرضنا المقدسة، ونتشرد نحن في الأرض ونؤويهم، لأنهم «مساكين»، «ذاقوا اضطهادات بشعة»! سبحان اللَّه! ما أسوأ التزييف، فإذا لم يكن هذا تزييفًا فماذا يكون إذن؟!

□ إن أطماع اليهود ودول الغرب والاتحاد السوڤياتي في هذه المنطقة أوضح من الشمس في رأد الضحى. فسواء أخذ اليهود قسمًا من فلسطين، أو أخذوها كلها، فإنهم سيصارعون حتى يحققوا أوهامهم إن استطاعوا. هم الذين لا يريدون السلام أبدًا، هم اليهود كلهم لا عصبة منهم، كلهم يريدون الحرب ويريدون دولة اليهود، ويريدون أطماع اليهود. وليس عن عبث أن امتدّ دعم الدول الغربية والشرقية لليهود كلهم قرنًا من الزمن على الأقل، في صورة إجماع وتخطيط وتواطؤ مكشوف. وليس عن عبث يصرح وزراء خارجية الدول هذه «إسرائيل

وجدت لتبقى»[١] .

▫ إلى صاحب كتاب «فلسطيني بلا هوية» وهو صلاح خلف «أبو إياد» من أبرز قادة منظمة التحرير الفلسطيني نهدي له ما قاله ريجان وأذاعه التلفزيون البريطاني: «عندما زار رئيس أمريكا «ريجان» إنجلترا سنة ١٩٨٢م أقيمت على شرفه مأدبة في أحد القصور القديمة في لندن. فوقف على رأس المائدة يُلقي كلمته ويقول ما معناه: إننا نعتز بهذا المكان فقد انطلقت منه الجيوش الصليبية!»[٢] .

إن الإنسان ليصاب بالدهشة كل الدهشة حين يرى التخبط العلماني لمنظمة التحرير منذ بدايتها والشعارات الجوفاء التي يرددونها والواقع شيء آخر، وانظر إلى صور من التخبّط:

▫ صرّح أحمد الشقيري في اجتماع اللجنة السياسية العامة في جامعة الدول العربية بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٥٢، «إننا نلتزم بقرارات الأمم المتحدة»[٣] .

وفي ١٤ كانون الأول «ديسمبر» ١٩٦٢م يصرّح في اللجنة السياسية الخاصة: «إني أقبل نداء زميلنا من «الفولتا العليا» لتنفيذ مقررات الأمم المتحدة. ونحن لا نختار قرارًا منها أو نؤثره على أي قرار آخر»[٤] . ولقد سبق لأحمد الشقيري أن أعلن في دورة جمعية الأمم المتحدة لسنة ١٩٥٢: «إني أودّ أن أعلن بصراحة أننا نقبل المباحثات المباشرة!!، بل

---

(١) «على أبواب القدس» ص(١٩٩ - ٢٠٣).
(٢) «على أبواب القدس» ص(٢٠٥).
(٣، ٤) «المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية» ص(٢٥٧، ٢٥٧، ٢٥٨) على الترتيب ـ لمهدي عبد الهادي ـ المكتبة العصرية بيروت.

إني مستعد للتفاوض مع أيّ شخص كائنًا ما كان، يحترم الميثاق ومقررات الجمعية العمومية»[١].

وهذا يعني قبول قادة المنظمة لقرار التقسيم.. فماذا بقي أيها الأشاوس بعد ذلك؟!

❑ وعلى درب الشقيري سار كل الأشاوس أبو عمار ياسر عرفات وبقية رفاقه، بل وتلا الخروج من الأردن مباشرة السفور عن الوجه العلماني الكالح المنكود. فقد تبنى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته المنعقدة في فبراير ١٩٧١م نموذج الدولة العلمانية التي تهيمن على كامل التراب الفلسطيني، ويتساوى فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون في الحقوق والواجبات.. ووجد الصليبيون والغربيون ضالتهم في أبي عمار ورفاقه من العلمانيين.

❑ قال جاكسون ديل محلل الواشنطن بوست عن عرفات: «إنه الزعيم الوحيد القادر على جرّ الفلسطينيين نحو الحلّ المنشود»[٢]، أو كما يقول السفير المصري في واشنطن عبد الرؤوف الريدي: «لقد جرّ الفلسطينيين إلى هذا الحل عبر طريق طويل وشاق وأقنعهم بأن عليهم أن يتجرعوا الدواء المر»[٣].

❑ وقال وليم كوانت مستشار الرئيس الأمريكي للشرق الأوسط «رحيل عرفات كان سيعطّل عملية السلام حتمًا»[٤].

---

(١) «المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية» ص(٢٥٧، ٢٥٧، ٢٥٨) على الترتيب ـ لمهدي عبد الهادي ـ المكتبة العصرية بيروت.

(٢، ٣) واشنطن بوست ٩ أبريل ١٩٩٢م «المنشود من قبل أمريكا وإسرائيل وزعماء العرب».

(٤) مجلة السنة العدد (٢٤) محرم ١٤١٣هـ ص(٥١).

* **كلهم علمانيون.. وكلهم ياسر عرفات:**

سواء في ذلك التيار الموالي لسورية: فاروق قدومي، وفصائل الرفض اليسارية: جورج حبش، ونايف حواتمة، وأحمد جبريل، وخالد الفاهوم.

والتيار الموالي للأردن: كمحمود عباس «أبو مازن»، والتيار الموالي لمصر: وفيه أبو الأديب «سليم الزعنون» ونبيل شعث وسعيد كمال.

والتيار الموالي للخليج ودوله: كخالد الحسن وهاني الحسن، وعبدالله الأفرنجي، ورفيق النتشة وأبي هشام «خليل المزين». بخلاف أبي إياد «صلاح خلف»، وهايل عبد الحميد «أبي الهول» وأبي يوسف النجار، وماجد أبو شرار وسعد صايل.

❑ يقول هاني الحسن: عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، والمستشار السياسي لياسر عرفات في لندن أمام الجمعية الراديكالية لحزب المحافظين البريطاني والتي نشرتها صحيفة السياسة الكويتية في عددها (٧٧٣٧) للسنة (٢٤) بتاريخ ١٥ رجب ١٤١٠هـ، الموافق ١١ شباط فبراير ١٩٩٠م: «انهمكنا في صراع حياة أو موت طوال عشرين سنة للتحضير للحلّ السياسي!! المطلوب أن نقنع شعبنا بدولة فلسطينية على ٢٣٪ من أرض فلسطين»[١].

❑ ويقول أبو إياد «صلاح خلف»: «الحركة الفلسطينية حركة علمانية بصورة قاطعة»[٢].

---

(١) «عبد الله عزام» للدكتور عدنان النحوي ص(٧٨).

(٢) «فلسطيني بلا هوية» ص(٧٠).

◘ ويقترح خالد الحسن: «رئيس لجنة الشؤون الخارجية في المجلس الفلسطيني أن يكون هناك اتحاد كونفدرالي على النمط السويسري يضم إسرائيل وفلسطين والأردن، ودعا في محاضرة ألقاها في لندن إلى إقامة نظام كانتونان يضع حلولاً لمعظم المشاكل التي تقف في طريق تسوية النزاع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، وقال: إن اقتراحه هذا يحظى بتأييد ياسر عرفات... وأن تكون مدينة القدس عاصمة للكونفدرالية كما اقترح أن يوحد النظام الاقتصادي في الدول الثلاثة... ومما قاله في محاضرته هو اعتقاده أن الأمريكيين جدّيون في رغبتهم في حل سلمي للقضية الفلسطينية»[١].

خالد الحسن الذي يتهمه ياسر عرفات «بأنه لم يدخل معركة فلسطينية واحدة وأنه «تاجر» وليس مناضلاً، وأن هموم الشعب الفلسطيني في واد وهو في واد آخر وأن نفقاته في تنقلاته وأسفاره تكفي لإعاشة مخيم بأكمله»[٢].

◘ وأما عرفات فهو كبيرهم الذي علّمهم السحر... عرفات الذي يمسك برئاسة (٣٣) لجنة داخل المنظمة ويدع للباقين اللجان الهامشية التي لا خيل فيها ولا مال!! حتى زواجه من سهى الطويل ابنة ريموندا الطويل المعروفة بعلاقاتها السرية بالأجهزة الأمريكية وبعض الشخصيات اليهودية... فهو يتم أيضًا لصالح جهات مشبوهة!!!

كم بددوا المال هدرًا في مباذلهم　　　وفي ليالي الخنا ضاعت مُروءاتُ

(١) مجلة الحياة ١٩٩١/١١/٨، ومجلة السنة العدد (١٧) ـ ربيع الثاني ١٤١٢هـ ص(٣٣).
(٢) المجلة ١٩/٨/١٣، ومجلة السنة العدد (٢٤)، محرم ١٤١٣هـ ص(٥٤).

كان اليمين لنا ذُلاً يُمَزِّقنا وفي اليسار لنا بؤسٌ وويلاتُ
وقادة الشعب أمواتٌ بلا كَفَنٍ وهل يُحرّرُ أرض القدسِ أمواتُ
يا سوأةَ العمرِ في تاريخ أمتنا لقد بدت منكمُ للعين سوءاتُ

*** من عطّروا التاريخ وزينوه... ومن ذبحوا التاريخ ودنّسوه:**

سيذكر التاريخ قادة الجهاد الفلسطيني الأوائل الذين جاهدوا صامتين، وسجّل لهم التاريخ صفحات بيضاء ناصعة البذل والفداء والجهاد في سبيل اللَّه... يكفي أن نُطالع بيانات القيادات العسكرية في الميدان لترى الصورة الإيمانية والراية الإسلامية.

□ففي خطاب «قائد الثورة العام» في ١٩٣٨/٨/٦م:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد،،

إن اللَّه معنا أيها المجاهدون. فقد مضى على جهادكم المقدس وقت طويل واللَّه حارسكم أينما كنتم في ثباتكم كيفما اتجهتم، يا أبناء دين محمد لكم في جهادكم هذا أسوة حسنة في نبيكم محمد بن عبد اللَّه ﷺ. هذا يوم من أيام فتوحات سيدنا عمر بن الخطاب... يا أبطال الجهاد إنني أعلم ووكلكم يعلم أن السلاح الذي تحاربون به عدوكم هو إيمانكم وثباتكم ونفوسكم الطاهرة... ثم يأتي التوقيع: قائد الثورة العام: المتوكل على اللَّه. ولقد حملت الفصائل أسماءها من أمجاد الإسلام، وألقابها من معاني الإيمان.

من هذه النماذج والحقائق تستطيع أجيالنا المؤمنة أن تقارن حالاً بحال، وشعاراً بشعار: أين جيفارا، كاسترو، هوشي منه، وجياب وغيرهم ممن أصبحوا شعارات جديدة في مسيرة جديدة؟[1].

وبعد هذا. . . «رابين ابن عمي». . . «رابين قائد شجاع». . . «وإنها لثورة حتى النصر»!!!

ليت الهوان الذي قد مسّ أُمَّتنا ... قد صبَّهُ في كُئُوس الحقد غيرهم
وليت من ذبحوا التاريخ يا وطني ... وزيَّفُوه وباعوا سيفَهُ عجمُ
لكنّ مَن ذبحوا التاريخ أمسِخةٌ ... باعوا الضمائر للشيطان وانهزموا
لو أن مُسْلِمَةَ الكذّابَ بينهمُ ... لكان أصدقَ من تمشي به قدمُ
إن نحنُ قلنا لهم سعدٌ وعكرمةٌ ... لَوَّوْا رُءُوسهمُ العجفاءَ واتَّهموا
وإن هتفنا بأن اللَّه خالقنا ... وأننا بكتاب اللَّه نعتصِمُ
قامت قيامتهم وازورَّ قائدهم ... وأشرعوا صنمًا يهفو له صنمُ
ما عاد يسترهم شيء فقد برزوا ... والظُّفْرُ والنابُ والطاعون والورمُ
وضاقت الأرض غصَّت في مباذلهم ... كأنهم فوقها الأدواء والرممُ
لقد تمزّقت الأثواب فوقهم ... وبان تحت شعاع الشمس عُريهمُ

أو كما قال فاروق جويدة:

وطنٌ يبيع الأرضَ والتاريخَ
في سوق النِّخَاسة
والنجاسةِ والضلالْ

(١) «على أبواب القدس» ص(١١٤ ـ ١١٥).

وطن حزين أنت يا وطنًا
تُسَلِّمُهُ النِّعالُ
إلى النعال[١] .

*** عودوا إلى اللَّه تعودوا إلى فلسطين:**

في لقاء المفتي الأسبق الشيخ محمد أمين الحسيني ـ رحمه اللَّه ـ مع أبناء وطنه وجهوا إليه السؤال التقليدي الآتي:

«متى نعود إلى فلسطين»؟

فأجاب: عودوا إلى اللَّه تعودوا إلى فلسطين!!

فسخر سفهاؤهم من جواب المفتي، وراحوا يتساءلون: ما علاقة العودة إلى اللَّه بالعودة إلى فلسطين؟!

وهل أخرجنا من ديارنا وأوطاننا إلا اللَّه؟! ودفعهم كرههم لما يدعوا إليه الشيخ الحسيني إلى الانخراط في الأحزاب والحركات القومية واليسارية: كحزب البعث العربي الاشتراكي، والحركة الناصرية، وحركة القوميين العرب، والأحزاب الشيوعية العربية. وبعد رحلة شاقة في مسيرة هذه الأحزاب القومية العلمانية دامت أكثر من ثلاثين عامًا، ثبت بالأدلة الأكيدة أن قادة هذه الأحزاب متآمرون مخادعون... وقد استغلوا كثيرًا من أبناء فلسطين في معاركهم ضد خصومهم سواءً كانوا من الدعاة إلى اللَّه أو من غيرهم، وأخيرًا فعلوا بالفلسطينيين ما عجز اليهود عن فعله.

❑ وبعد هذه الرحلة الشاقة المضنية تذكّر العقلاء من أبناء فلسطين قولة المفتي ـ رحمه اللَّه ـ «عودوا إلى اللَّه تعودوا إلى فلسطين»[٢] .

---

(١) من قصيدة «لصوص العصر» من ديوان «كانت لنا أوطان» مؤسسة غريب.

(٢) «أمل والمخيمات الفلسطينية» ص(٢٥١ ـ ٢٥٢).

* **للَّه دركِ من امرأة...أم خالد الحسن أبعد نظراً من قادة فتح، وأكثر منهم وعياً وعمقاً:**

أما والدة خالد الحسن ـ أحد قادة منظمة التحرير ـ فكانت تؤكد منذ بداية تأسيس فتح أن فلسطين لن يحررها إلا المجاهدون المسلمون الذين يقاتلون لتكون كلمة اللَّه هي العليا ذكر أحد أبنائها القصة التالية:

كان زوجها ـ والد خالد الحسن ـ أحد المجاهدين الأشداء في ثورة الشيخ عز الدين القسّام، وكانت زوجته تشاركه في آماله وآلامه، وتؤدي دورها المطلوب في معركة المصير...وفرحت المرأة عندما سمعت أبناءها يتحدثون عن تأسيس فتح، وكانت تذكرهم بجهاد أبيهم، وتطلب منهم أن يرتسموا خطاه. واجتمع قادة فتح في بيت خالد، واستمر اجتماعهم طوال ليل ذلك اليوم، وكانت الأم ترصد حركات المجتمعين وأفعالهم، وكان الأبناء يستغربون من أمهم التصاقها بباب الحجرة التي تضم معظم قادة فتح...وبعد أن انفض الاجتماع، قالت الأم لأبنائها: شتان شتان بين اجتماعكم واجتماعات أبيكم وأصحابه...كانوا يقومون الليل صلاة وذكرًا، وأنتم ما سمعت منكم إلا العبث والكلام الفارغ...وليست هذه مواصفات الذين سيحررون فلسطين من العدو المغتصب!!

ما أروع الفطرة السليمة، فهذه المرأة لم تجهد نفسها في البحث والتنظير، ولم تقرأ عشرات المؤلفات، بل لعلّها أمية لا تقرأ ولا تكتب، ومع ذلك فإنها أدركت بفطرتها التي لم تلوثها الأفكار والاتجاهات الدخيلة الشاذة بأن اللَّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن النصر من اللَّه وحده لا شريك له، وليس من واشنطن، أو موسكو أو بكين، ومن يعتصم باللَّه ويأخذ بأسباب النصر لا تهزمه أساطيل الدول

الكبرى ولا جيوشها ولا صواريخها ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

حقًّا لقد كانت والدة خالد الحسن أبعد نظرًا من أبناءها ومن معهم من قادة فتح، وأكثر منهم وعيًا وعمقًا.. وتذكر أحد أبنائها نصيحة أمة بعد عقدين من الزمن، وبعد أن تعامل مع قادة المنظمة عن كثب وسبر أغوارهم، وأدرك أنهم أصحاب أهواء وطلاب زعامة، وأنهم يتاجرون بقضية فلسطين كغيرهم من الحكام العرب... تذكّر الابن نصيحة أمه فتخلّى عن المنصب المرموق الذي كان يشغله في فتح، أما أخواه فتخلّوا عن منهج أبيهم وغرقوا في أوحال السياسة[1].

«إن للإيمان نهجًا واضحًا جليًّا مشرقًا، وللضلالة نهجًا مظلمًا مضطربًا، ولن يلتقي النهجان».

نَهْجانِ قد مَيَّزَ الرحمنُ بينهما ... نَهْجُ الضلال ونهجُ الحق والرشَدِ
لا يجمعُ اللَّه نهجَ المؤمنين على ... نَهْج الفسادِ ولا صِدْقًا على فَنَدِ
بَرِئْتُ للَّه من صَفٍّ يُوَحِّدُه ... ذُلُّ الترابِ وشَكْلُ اللّحم والجسدِ
المؤمنون هم الأنساب صادقةً ... واللَّه دونَ جميعِ الخلقِ مُعْتَمَدِي[2]

❁ ❁ ❁

(١) «أمل والمخيمات الفلسطينية» ص(٢٥٢ ـ ٢٥٣).
(٢) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٢٥٩).